أثر العولمة الثقافية على القيم عند الشباب

د. عبير رمضان أبوعزة ـ قسم الفلسفة ـ كلية الآداب ـ جامعة الزاوية

الملخّـــــص :

تعتبر العولمة الثقافية، وفقاً للتطورات والمتغيرات الجديدة، منها ثورة الاتصال، وثورة المعلومات وحرية تبادلها، وكل ما هو متحقق ثقافياً على أرض الواقع خطراً وأثراً فاعلاً على خصوصية سائر الثقافات الأخرى، فتهدد هويتها بما تبثه من أساليب وأنماط ثقافية غربية بواسطة وسائل تتسم بتسطيح الوعي والخداع والتشويش للعقول، ونشر الأوهام، والإحساس بالخواء الداخلي، والاستلاب والاستسلام مع عدم مواجهتها أو حتى محاولة نقدها، بحيث تحس أن كل المنجزات الثقافية والتاريخية بدأت محل استهجان ورفض من قبل الشعوب ذاتها، فالعولمة تسعى إلى إعادة تكوين الخصوصيات المحلية بحيث تصبح هذه الأخيرة لا معنى لها إلا من خلال فهم وإدراك علاقتها بالعولمة الثقافية، بهدف فقدان هذه الخصوصيات لجوهرها الأساسي المتمثل في الموروث الثقافي.

المقدمة:

الحمد لله الذي أوضح لنا الدين، وهدانا بغير حول منا ولا قوة إلى خير شرائع المرسلين، وأخرجنا بفضله من الظلمات إلى النور، وصلوات ربي وسلامه على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

يشهد المجتمع تحولات وتطورات واسعة في مختلف المجالات الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، والثقافية، وهذه التغيرات والتطورات لا تتم إلا من خلال الأفراد القادرين على فهم وإدراك معنى التطور مفهوم وثقافة، منهج وتطبيق، ومنافسة سبل وأساليب التحول بطريقة علمية، ومعرفة حقوقهم وواجباتهم وأدوارهم المهنية والاجتماعية في هذه المرحلة التي يتم فيها، بناء المجتمع حضارياً وعلمياً وتربوياً حتى يساير عصر العلم والتقنية، ويواكب مراحل التغيير التي تشهدها المجتمعات الأخرى ويصبح قادراً على الإفادة والاستفادة.

ومن أهم التطورات بروز فكرة العولمة على نطاق واسع بكافة جوانبها وعبر مراحلها المختلفة، فما مدى تأثير العولمة الثقافية على عقيدتنا وثقافتنا الإسلامية؟ وهل

بالإمكان التعامل مع العولمة؟ فيجب علينا ألا نرفضها مهما كانت آثارها، وفي الوقت نفسه إلا نستسلم لها ونأخذ بها كما هي جاهزة بصورتها الغربية، دون إحداث أي تحولات فكرية واقتصادية وسياسية وثقافية فيها، حتى لا تشعر العقلية الإسلامية بالاتكالية والعجز عن الاستمرار لمواكبة متطلبات العصر.

وتكمن أهمية اختيار الموضوع في اعتبار أن العولمة من أهم القضايا المعاصرة التي تمس حياة الإنسان، حيث امتد تأثيرها ليشمل مجالات واسعة جداً، آخذة بعين الاعتبار بأن لها إيجابيات لا يمكن التغاضي عنها، تتمثل في التعرف على الدور الذي تلعبه العولمة في التأثير على المجتمع وخاصة الشباب منهم، حيث أن ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات يتأثر بها الشباب أكثر من غيرهم فتؤثر في أساليب سلوكهم وأفكارهم وتعد ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات العمود الفقري والآلية التنفيذية لظاهرة العولمة الثقافية، وقد أوجدت عالماً خاصاً بالعولمة بكل جوانبها حيث يعمل الإعلام على توظيف تكنولوجيا الاتصال ووسائله في عملية الاختراق الثقافي بالترويج والدعوة لثقافة الاستهلاك وتنويع الوسائل الإعلامية ليتلاءم مضمونها مع الخيارات المختلفة، إضافة لذلك وفق حاجات الأفراد من خلال البث للرسائل الإعلامية.

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق مجموعة أهداف منها:

1- زيادة الوعي والإدراك بثقافتنا الإسلامية لما فيها من تعاليم ومبادئ سامية تدعو إلى المحافظة على القديم والتعايش مع الجديد.
2- الإنسان مدني بطبعه فهو محتاج إلى التواصل من أجل البقاء.
3- الاهتمام بتنمية قدرات الشباب، ومهاراتهم من خلال تزويدهم بالمعلومات والأفكار، والخبرات المناسبة لقدراتهم واستعداداتهم.
4- تعريف الشباب بأدوارهم نحو مجتمعهم وما يترتب على ذلك من حقوق، وواجبات لبناء المجتمع، وتحقيق أهدافه.
5- التعرف على مصادر ثروات المجتمع وتعريف الشباب بكيفية الحفاظ عليها، وتنميتها، واستثمارها بما ينفع المجتمع.
6- تعليم الشباب معنى الديمقراطية أسلوباً، وعملاً، وممارستها داخل المجتمع وخارجه نظرياً وعملياً، والكشف على ميول الشباب وقدراتهم وتوجيهها لصالحهم وصالح المجتمع.

منهج البحث:

وحتى يأخذ البحث مساره الصحيح وتحقيق الغاية منه فقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي الذي يستند إلى الفهم تم التحليل لبلوغ الغاية المرجوة منه وعلى الله قصد السبيل.

تساؤلات البحث:

طرحت العديد من التساؤلات التي تحاول من خلالها عرض ومناقشة جزئيات البحث كالآتي:

1- ما أهم متطلبات واستراتيجيات تحقيق مهام العولمة الثقافية؟

2- هل بالإمكان مواجهة العولمة والحد من تأثيرها على ثقافة المجتمع بكل فئاته؟

3- ما مدى تأثير الأفكار الغربية التي جاءت بها العولمة على عقول الشباب في المجتمع الإسلامي؟ وهل يمكن للشباب المسلم أن يعيش بعيداً عن كل ما يحدث في العالم من تغييرات؟

4- هل بالإمكان خلق بيئة تعليمية ثقافية للشباب من خلال تقنيات إلكترونية متنوعة تؤدي بدورها إلى تنوع أدوات الاتصال والتواصل؟.

5- ما مدى تأثير التطور المعرفي وثورة الاتصالات في المجتمع؟

وغيرها من الأسئلة التي يمكن طرحها، والإجابة عليها من خلال معالجة الموضوع، وهكذا وجدت نفسي – انطلاقاً من هذه الأسئلة – قد اخترت موضوع البحث، للإجابة على هذه التساؤلات ورأيت أن أنظم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث حيث تضمن المبحث الأول: نبذة مختصرة عن مفهوم العولمة، وكان المبحث الثاني يعرض التقدم التكنولوجي ودوره في دعم الشباب وثقافتهم، وجاء المبحث الثالث لتوضيح دور المؤسسة الدينية في إصلاح النشء ثم الخاتمة متضمنة النتائج وهوامش البحث.

المبحث الأول ـ نبذة مختصرة عن مفهوم العولمة :

مفهوم العولمة لا يمكن تحديده تحديداً دقيقاً، لأنه عملية مستمرة من التحولات والتغييرات المذهلة، لدرجة يستحيل معها مواكبة ومتابعة تلك التحولات الكبرى المعاصرة في جميع مجالات الحياة المختلفة اقتصادية ، وسياسية، واجتماعية، وثقافية...الخ. فالعولمة ليست مصطلحاً لغوياً قاموسياً جامداً يسهل تفسيره بشرح المدلولات اللغوية المتصلة به، بل يدل هذا المصطلح على نظام جديد للعالم، وعلى حركة دمج العالم وإلغاء الفواصل والحدود الجغرافية والزمنية والموضوعية بين الدول والمجتمعات، ويتميز هذا المصطلح بالغموض والتعقيد، وعدم التناسق بين النظرية

والواقع، ويعتقد أنَّ العولمة ليست جديدة بالدرجة التي توحي بحداثة المصطلح، ولتوضيح مفهوم العولمة يمكن أن نقدم مجموعة من التعريفات لبعض الباحثين والمفكرين لنستخلص منها مفهوماً عاماً موجزاً يمكن من خلاله فهم العولمة ومنها على سبيل المثال:

فالعولمة في نظر بعض المفكرين هي "العملية التي يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الشعوب تلك العملية التي تنتقل بها الشعوب من حالة الفرقة والتجزؤ إلى حالة الاقتراب والتوحد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن حالة التباين والتمايز إلى حالة التجانس والتماثل، وهنا تتشكَّل قيم عالمية موحَّدة، ويتشكَّل وعي عالمي يقوم على مواثيق إنسانية عامة، ويمكن اعتبار العولمة ظاهرة تتداخل فيها مختلف الجوانب، ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود السياسية للدول، وتحدث فيها تحولات على مختلف الصور، تؤثر في حياة الإنسان أينما كان"[1].

ويتعامل الفرنسيون مع كلمة عولمة بمصطلح (Mondialisation) في حين يستخدم الأمريكيون والإنجليز كلمة "Globalization" وهي تفيد معنى تعميم الشيء، وتوسيع دائرته ليشمل الكل وبما أنَّ المصطلح أول ما ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية، فهو يعني توسيع النموذج الأمريكي وفسح المجال له ليشمل العالم كله، وبذلك يكون معنى العولمة جعل الشيء عالمياً ، أو على مستوى العالم، وقد يكون المصدر مفعولاً مطلقاً فيكون بذلك مؤكداً لعقله، والمصدر في الأصل اسم دال على حدث جار على فعله[2]، عرفها مايك فيدرستون (Mike Federation): فيرى أن العولمة يمكن فهمها من خلال النموذج الذي يصبح العالم بموجبه موحداً، فهي تعد مدخلاً فكرياً لفهم مشكلة النظام العالمي بأشمل معانيه، فتتعلق بالتناول المتعدد الأفرع العلمية، وذلك بدراسة العالم ككل من خلال العلاقات الدولية بين الدول، فيقول بأن ثمة ارتباطاً ما بين العولمة والحداثة والتحديث وما بعد الحداثة وما بعد التحديث[3]، ويؤكّد بأن دراسة العولمة ينبغي أن تقتصر على الماضي القريب، كما أن مصطلح العولمة في حد ذاته ينطبق على سلسلة من التطورات والتحولات الكبرى التي تحدث في العالم وخاصة في السنوات الأخيرة من القرن العشرين وامتداداً إلى القرن الحالي[4]، فيعرفها "بأنها بلورة العالم في مكان واحد"[5]، وعرَّفها نورمان جيفان على أنَّها تشير إلى مجموعة شاملة من العمليات الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية، ويوجد عند أساسها الاقتصادي تدويل التمويل والإنتاج والتجارة والاتصالات، الذي تقوده أنشطة الشركات العابرة

للأوطان، واندماج أسواق رأس المال والنقود، وتضافر تقنيات الكمبيوتر والاتصالات السلكية واللاسلكية[6].

ويصورها الأستاذ حسن حنفي على أنها صراعاً تاريخياً بين المركز والأطراف، بين الدول الغنية والدول الفقيرة بين الشمال والجنوب، بين الاستعمار والتحرير، بين الهيمنة والاستغلال[7]، ويعرف "محسن أحمد الخضيري" العولمة "بأنها ثمرة طبيعية برغبة الكيانات الكبرى في التوسع، والسيطرة، والهيمنة، وإملاء الإرادة، وبسط النفوذ، وهي نتيجة منطقية لزيادة احتياجات المشروعات الكبرى إلى أسواق مفتوحة تنمو بشكل دائم ومستمر"[8]، أما الدكتور محمد الجابري فيؤكد بأنَّ العولمة، ليست مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي، بل هي أيضاً بالدرجة الأولى إيديولوجيا تعكس إرادة الهيمنة على العالم، حيث يرى أنَّ العولمة تعني نفي الآخر وإحلال الاختراق الثقافي والهيمنة، وفرض نمط واحد للاستهلاك والسلوك[9].

إذن فالهدف الذي يمكن الوصول إليه من خلال متابعة تطور مفهوم العولمة وتاريخها، هو أنها لم تكن وليدة التفاعل بين الحضارات والمذاهب المختلفة على مستوى العالم ككل، بل استمدت مرجعيتها الأساسية من تصورات وممارسات أوروبية أمريكية، وفي الواقع فإن كثرة الحديث عن العولمة في السنوات الأخيرة من القرن العشرين، على وجه الخصوص ليس سببه نشأتها بل نموها وانتشارها بمعدل متسارع يفوق كل تغيير حدث في التاريخ.

المبحث الثاني ـ التقدم التكنولوجي ودوره في دعم الشباب وثقافته:

للعولمة الثقافية انعكاسات على الهويات والخصوصيات الثقافية، فتسعى إلى تذويب الثقافات الوطنية والقومية في الثقافة الغربية العالمية، وفرض كل ما تحمله من سلوكيات وقيم ومفاهيم غربية مغايرة لمعظم الثقافات الأخرى، وخاصة الثقافة الإسلامية، فتحاول إلغاءها وإقصاءها بشتى الطرق والوسائل، وقطعها على الحياة الإنسانية باعتبار أن الثقافة الإسلامية محصلة التفاعل بين عوامل عدة دينية وسياسية واجتماعية، فإنها تعد بمثابة التجربة التي تلخص الجوانب الإبداعية والاجتماعية والسلوكية والعقائدية التي يسمح فيها بالتميز الثقافي بين مجتمع وآخر[10]، فالعولمة عكس ذلك، فهي تسعى إلى القضاء على التمايز الثقافي بين الثقافات وفرض النموذج الغربي بأن تسود العالم ثقافة واحدة، تحتل مكان الصدارة لتصبح الثقافة الغربية هي المسيطرة بكل ما تحمله من سلوكيات لا تتماش مع معظم الثقافات القومية .

وتتجلى العولمة الثقافية في تسطيح الوعي، والسيطرة على الإدراك فتجعله مرتبطا بما يجري من صور ومشاهد ذات طابع إعلامي إشهاري، مثير للإدراك وحاجب للعقل، وبالسيطرة على الإدراك يتم إخضاع النفوس وتعطيل فاعلية العقل، ونشر الانحلال الخلقي لإفساد عقيدة المواطن، وتوجيه الخيال، وتنميط الملبس والمأكل والمشرب ... الخ بالنمط الغربي الأمريكي، والمغزى من وراء ذلك تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف والبضائع والسلع[11]، فتتولى القيام بعملية تسطيح الوعي، واختراق الهوية الثقافية للأمم والأقوام والأفراد بنشر ثقافة جديدة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً من قبل، وهي المعروفة اليوم بالعولمة الثقافية.

فالعولمة الثقافية باعتبار أنها تشكل تحدياً ثقافياً غير مسبوق، فهي لكي تتحقق تسعى إلى تحقيق ثلاثة شروط لكي تتوغل في داخل جميع الثقافات، وهذه الشروط هي:

1- أن تفقد الدول الصغيرة ثقافتها تحت ضغط الاجتياح الثقافي العالمي، مما يعني إلغاء ثقافات الشعوب وخصوصياتهم لصالح الثقافة العالمية المسيطرة.

2- الانقسام والتفكك الثقافي الداخلي، لكي تصبح الثقافة الوطنية عاجزة عن تقديم كل التصورات وفي نفس الوقت تخرج العولمة بثقافة ارتقائية غربية.

3- ظهور روابط وجسور وأدوات تحليلية مهمتها الرئيسية إيجاد معايير وقيم للعبور إلى الثقافة العالمية، وتنميط الفكر العالمي بثقافة الغربية[12]، فأسوأ ما تسعى إليه العولمة في بعدها الثقافي التبشير بعالم واحد تسوده ثقافة واحدة، تهدف إلى توحيد الثقافات في قالب غربي - أمريكي، من أجل القضاء على مشكلة التمايز الثقافي الحضاري، والقضاء أيضاً على خصوصية العقيدة لكل أمة، وإطلاق العنان للشهوات والفساد والإباحية الجنسية التي تؤدي حتماً إلى التفكك الأسري وانتشار الرذيلة والجرائم الأخلاقية، فإن كل هذه الأمور لا تقبلها معظم الثقافات الأخرى وخاصة ثقافتنا الإسلامية المستهدفة من قبل العولمة، وذلك لمخالفتها لصريح العقل، وتناقضها مع ثوابت الدين والثقافة الإسلامية، فمنظري العولمة يسعون بكل الطرق والوسائل إلى بث هذه الأفكار المسمومة، من خلال وسائل الاتصال المتطورة التي تساهم بشكل كبير في توجيه الخيال، وتعطيل العقل، وتحويل البشر وكأنهم أطفال يشاهدون فقط بدون أن يدركوا ما يدور حولهم من اختراق لأهم قيمهم الإنسانية.

وبتحقيق ذلك يصبح العالم مفتوحاً، لا يعترف بأي حدود ثقافية كاختلاف اللغة والدين، وغيرها، وإنما يتم الاعتراف بالثقافة الغربية الأمريكية بكل ما تحتويه من مضامين وسلوكيات لا أخلاقية تسعى إلى بثها من خلال القنوات الفضائية (الديجيتال) وجميع

وسائل الاتصال الجديدة، كشبكة المعلومات الدولية الإنترنت، فمن خلال هذه الوسائل يتم تنميط الذوق والسلوك، وتدمير جميع القيم الفكرية والحضارية والاجتماعية والدينية، وخاصة الإسلامية التي تشكل خطراً على الغرب من جميع الجهات.

بناء على ما سبق فإن العولمة تعمل على إلغاء المكتسبات الاجتماعية التي كافح وناضل الإنسان من أجلها طويلاً، وإحداث مرحلة عدم الاستقرار الاجتماعي، أي خلخلة اجتماعية من أجل الوصول إلى تحقيق فكرة مجتمع واحد تسوده الأنماط الاجتماعية الغربية، وبفعل ما تبثه مؤسسات وآليات العولمة المتشابكة من سلوكيات وقيم غربية أدت إلى إحداث تحول فعال في القوى الاجتماعية من تجمعات دولية إلى تجمعات عالمية.

ومن ضمن آليات العولمة المؤثرة على عقول الشباب على سبيل الذكر وسائل الاتصال الحديثة :

أصبحت وسائل الاتصال الحديثة في عصر العولمة حقيقة واقعة ومؤثرة في المجتمعات على اختلاف أنواعها أدت إلى تغييرات مهمة في جميع ميادين المجالات الثقافية والعلمية والإعلامية والتجارية، وتحويل الثقافات السائدة إلى العولمة الثقافية وتشجيع المجتمعات على الاستهلاك والعمل على نشر القيم الاستهلاكية من خلال وسائل إعلامية وإعلانية تعمل لخدمة أهداف العولمة، وعملت على أضعاف وسائل الإعلام الوطنية وتحويلها إلى وسيلة نقل ما تقوم به قوى العولمة من أنشطة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية، ومهدت الطريق أمام فرض النظام الاقتصادي العالمي الجديد.

وتعتبر الإذاعة المرئية من أهم وسائل الاتصال الحديثة في الوقت الحاضر لما لها من خصائص لا تتوفر في الوسائل الإعلامية الأخرى وذات تأثير كبير على ثقافة وسلوك المشاهد وتشكل شخصيته.

ولقد أصبح عالم اليوم أكثر معرفة، والفضل في ذلك يرجع إلى استخدام العقول الإلكترونية والأقمار الصناعية وقنوات نقل المعلومات الفورية.

القنوات الفضائية والانترنت" وأهميتها في توعية وإرشاد الشباب من خلال بعض البرامج التي ثبتها منها البرامج التربوية، وبالرغم من أهمية بعض البرامج التي يقدمها البث الفضائي للشباب، إلا أن الفضائيات وخاصة الغربية تلعب دوراً كبيراً في التأثير على الشباب من خلال البرامج التي لا تتمشى مع القيم العربية الإسلامية.

وبالتالي فالقنوات لها دور كبير ومؤثر في نقل الأخبار والمعلومات والقصص والأفكار والمعتقدات والقيم والممارسات الأجنبية إلى أبناء الأمة الإسلامية وشبابها بمقصد التأثير

في أفكارهم وميولهم واتجاهاتهم وقيمهم... الخ بحيث تكون متوافقة ومتفاعلة مع ما بثته الحركات والقوى المسطرة على الإعلام كالإمبريالية والصهيونية[13].

إن انتشار وسائل الاتصال والمعلوماتية الحديثة في المجتمع يرجع إلى الثورة التكنولوجية التي أحدثها ظهور الحاسوب الذي كان له الأثر الكبير في ايجاد لغة واحدة للتخاطب إلى جانب الجهاز المرئي من خلال القنوات الفضائية التلفزيونية، وهذه الظاهرة لها انعكاسات جوهرية على تدفق وانتشار المعلومات، وتجاوز الحدود والحواجز بين الدول، وقد انتشر جهاز الحاسوب والهدف التأثير في المتلقين الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة، من خلال استخدام الشباب لجهاز الحاسوب إلى حد بعيد، وهم يتعلمون استخدامه في المدارس والجامعات وكل المرافق الحيوية في المجتمع من خلال استخدام الإنترنت بدرجة كبيرة غير أنَّ البعض يستخدمه برقابة من الأهل نستنتج مما سبق أن الغرب من خلال سيطرته على وسائل الاعلام أهله أن يلعب دوراً رئيسياً في تشكيل القناعات لدى الناس وجذب انتباه المشاهدين، وذلك بتقديم الصورة أو الخبر بشكل مثير وجذاب يلقى قبولاً لدى المتلقين، فمثلاً نجاح الفيلم الأمريكي معتمد على الإثارة والاقناع[14].

وقد عمل الاعلام الغربي على تحسين صورته حيث لقيت قبولاً لدى المجتمعات خاصة العربية، كما أن للقنوات الفضائية تأثيراً مباشراً في شخصية الشباب خاصة بمجتمع البحث من خلال نشر بعض الأنماط السلوكية لديهم، كما أن الشباب يتأثرون سلباً وإيجاباً بالبرامج التي تقدمها القنوات الفضائية.

ومن خلال ما تقدم تعتبر العولمة الثقافية بأبعادها المختلفة لها انعكاسات وتأثيرات بعيدة المدى على العالم أجمع، فالتصور الشمولي لها قصد منه فرض الحضارة الغربية الأمريكية وهيمنتها على جميع المجالات المختلفة في الحياة، فهي بمثابة حرب شاملة ضد مقدرات الشعوب غير الغربية الاقتصادية والسياسية ... الخ، والهدف من وراء ذلك تدمير هذه المقدرات وجعلها تابعة للغرب أي تبعية اقتصادية وتبعية سياسية ... الخ، وهناك سؤال يطرح نفسه في نهاية هذا الكلام، وهو ما الذي يحدث حولنا؟ وفي هذا الوضع الراهن ليس هناك طريق للانعزال والتقوقع، فلابد من بذل الجهد وتهيئة النفوس للتعامل مع العولمة كواقع معاش.

المبحث الثالث ـ دور المؤسسة الدينية في إصلاح النشء:

أدوار المساجد : لم يكن المسجد مؤسسة دينية صرفة تقتصر على أداء الصلاة فحسب؛ بل عرف منذ تأسيسه على أنه مركز يقوم بأدوار مهمة ومناشط متعددة تشمل مختلف

جوانب الحياة، فيه تقوية للشعور الديني الذي يُعدّ مفتاح الشخصية الخيرة، وفيه تدريب للمصلي على التعاون والعمل الجماعي الذي هو أساس بناء المجتمع وتدعيم كيانه، وهو المكان الذي تقوى فيه أواصر الأخوة والمساواة والتراحم، حيث كانت المساجد محور الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وشكلت مراكز إشعاع ثقافي وتعليمي وتربوي، بما كانت تبثه من قيم التضحية والجهاد والتغيير وبما كانت تبثه من قيم أخلاقية واجتماعية إضافة إلى أنها مكان يلتقي فيها الناس لممارسة العبادات والشعائر الدينية المختلفة، وقد كانت دور العبادة أيضاً ملاذاً للناس في أوقات الشدة ، ونظراً لتعدد أدوار المساجد فإن البحث سوف يتعرض بالدراسة لبعض هذه الأدوار والتي منها الدور الاجتماعي .

الدور الاجتماعي (التكافل الاجتماعي): التكافل الاجتماعي يعني أن يشعر كل فرد بواجباته تجاه المجتمع الذي يعيش فيه يجب عليه أداؤها ولا يجوز إهمالها ولا التقصير فيها ، وبأن له حقوقاً في هذا المجتمع، ويلزم القائمين على شؤونه أن يعطوا كلّ ذي حق حقه من غير تقصير ولا إهمال، وأن يدفعوا الضرر عن المستضعفين وأن يسدوا حاجة العاجزين؛ لأنهم إن لم يفعلوا ذلك أنهار المجتمع من أساسه وتصدعت أركانه[15]، والتكافل الاجتماعي في حقيقته نظام شرعي يجمع أفراد الأمة في إطار واحد، وعلى أساس من الرحمة والمودة والتعاون والرعاية الكاملة، دون تفريق أو تمييز، مع تحمل كل فرد نصيبه من المسؤولية[16]، ويُعد الإسلام سباقا في الدعوة إلى التكافل الاجتماعي بين الشباب، التكافل الذي يعمق وحدتهم بعد أن يزيل مواطن الفرقة والانقسام بينهم، ويدفع كل واحد منهم إلى التعاون والتضامن والتساند مع الآخرين بغية تحقيق أهدافهم التي تعزز مكانة أمتهم وترفع من شأن دينهم الذي هو دستور حياتهم، ولا غرور ولا عجب أن يحتل مبدأ التكافل الاجتماعي هذا المقام الأسمى، فهو المولد القوي للمشاعر الرقيقة، وباعث العواطف الكريمة، بين الإنسان وأخيه، من تراحم وتوادد ومعاملات أخلاقية عليا، ومثل روحية قصوى، فتراه يحرص على حياة أخيه، وحريته وثقافته وكرامته ومكانته الاجتماعية – أيضاً- [17]. يؤدّي المسجد دوراً كبيراً في تعليم الشباب فضيلة التكافل الاجتماعي فذهاب المسلمين للمسجد لأداء فريضة الصلاة وتفاعلهم الاجتماعي والوجداني مع وسماعهم الخطبة الدينية والمواعظ والدروس المليئة بالأوامر والنواهي الإلهية والقيّم الأخلاقية والمقاييس السلوكية الفاضلة والمثل الحميدة إنما تكرس عندهم العديد من الفضائل، وتعمق عندهم الشعور بالمسؤولية الاجتماعية وتقوي إيمانهم بالله وتعالى وتهذب نفوسهم وتطهرها من أرجاس الأنانية والغيرة والحسد والشر[18]،

كما أنّ المسجد مكان للعبادة، والصلاة وفي هذا المكان يستمع المسلم إلى العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تدعوه إلى الالتزام بالتعاون والتضامن والتكافل الآخرين، كما أن تواجد المسلمين في المسجد وتفاعل بعضهم مع بعض وانسجامهم الروحي والأخلاقي غالباً ما يؤدي إلى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم والسؤال عن بعضهم البعض وتفقد أحوالهم بحيث يكونوا قلباً واحداً وعقلاً واحداً ، والحديث النبوي الشريف يوضح هذه الحالة: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[19]، كما أنَّ المسجد مكان للعبادة والصلاة، وفي هذا المكان يستمع المسلم إلى العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تدعوه إلى الالتزام بالتعاون والتضامن والتكافل مع الآخرين.

التعارف والترابط الاجتماعي: ويقصد بالتعارف والترابط في الإسلام هو تقوية أواصر المحبة والأخوة الإيمانية التي يترتب عليها العمل بكل ما يقوم به الإنسان من تبادل للزيارات، وعيادة المرضى، وإعانة المحتاجين، وإفشاء السلام، والتواضع، والعفو، والسّماحة، والتآزر...، والتعارف قاعدة عامة من قواعد الآداب الإسلامية، بل هو ضرورة من ضرورات المعاملات بين الناس[20]، يقول الله - تبارك وتعالى- : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)[21]، فالإخاء في نظر الإسلام أمر طبيعي يربط بين جميع المسلمين ؛ لأنه الإطار القوي والسياج المنيع الذي يحقق شمول الدعوة ويجعل من المسلمين أسرة واحدة يفرح فيها المسلم لفرح أخيه ، ويحزن لحزنه، فيمد له يد العون ويقدم له المساعدة ، كما يحفظه في ماله وعرضه غائباً أو حاضراً[22].

والتعارف أساس العلائق بين البشر ، وكل رابطة توطد هذا التعارف وتزيح من طريقه العوائق فهي رابطة يجب تدعيمها، وبذلك يصير الدين الخالص أساس أخوة وثيقة، تؤلف بين أتباعه في مشارق الأرض ومغاربها، وتجعل منهم على اختلاف الأمكنة والأزمنة وحدة راسخة متماسكة البناء.

وهذه الأخوة هي روح الإيمان الحي، ولباب المشاعر الرقيقة التي يكنها المسلم لإخوانه؛ حتى إنه ليحيا بهم ويحيا لهم، فكأنهم أغصان انبثقت من دوحة واحدة، أو زوج واحد حلّ في أجسام متعددة[23].

من أجل هذا أمر الله سبحانه وتعالى جماعة الشباب أن يجعلوا من أنفسهم جماعة واعية تراقب العلاقات الأخوية وتوفر لها ما يلزمها من الصفاء الدائم والإخلاص الواعي، وكان المسجد الدعم لهذه الأخوة[24].

فالمسجد باعتباره مكاناً للجماعة التي تقام فيه الصلاة باعث للروح الاجتماعية، فهو يذكر الإنسان بأنه لابد أن يكون اجتماعياً لأنه يهيئ له الروح التي تسودها المحبة والود والشعور بالأخوة الإسلامية، حيث ينظر المصلي إلى إخوانه ويتعارف معهم ويتفقد بعضهم أحوال بعض، ويسأل عن أحوال الغائبين فيذهب لزيارتهم، ويتعاون على البر والتقوى ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[25].

هذا فيما يتعلق باجتماعهم اليومي، أما اجتماعهم الأسبوعي الذي ينعقد في يوم الجمعة فدائرة التعارف فيه أوسع، حيث يلتقي أبناء وشباب القرية أو المدينة في المسجد. وعند اللقاء لتأدية العبادة تحدث الوحدة في أداء الصلاة والوحدة في المشاعر والأفراح، وبالتالي تزداد الوحدة والألفة والحاجة للجماعة، ولا يخفى أثر هذا الاجتماع الأسبوعي على تآلف المسلمين وتواصلهم وخصوصاً مع شواغل الحياة هذه الأيام[26]. ولكي يكون اجتماع الناس في ذلك اليوم مثمرا جعل الإسلام خطبة الجمعة فريضة وشعيرة من شعائره العظمى، وشرط من شروط صحة الجمعة، إذ لا جمعة بدون خطبة. ولهذه الخطبة في المجتمع الإسلامي دور كبير، وأثر جليل، إذ يقوم الخطيب فيها بالدعوة إلى الله، وتوضيح معالم الإسلام ومنهجه، والحث على الترابط والتعارف بين الناس، والتمسك بالأخلاق السامية والآداب الفاضلة، والمثل العليا، والسلوك القويم[27].

ولقد نص القرآن الكريم على أن الأمة الإسلامية أمة واحدة، تعبد رباً واحداً، وتتبع رسولاً واحداً ، ولها قبلة واحدة في الزمان والمكان والوجدان والعقائد، قال - تعالى- : (**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**)[28]، ومن ناحية أخرى حذر القرآن الكريم من التفرقة والتشتت والانقسام لأن ذلك يقود إلى القطيعة والهجران وإلى الضعف والانحلال[29].

وللمسـجد دور في إحياء المناسبات الاجتماعية ، حيث اتخذ المسلمون منه مكاناً لعقد الزواج بين الراغبين فيـه ، ويتم هذا العقد المبارك في ظل الجو الإسلامي المتسم بصفاء الروح بين جدران البيت الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه، فيكون ذلك أجدر أن يبارك الله فيه، وقد بين النبي ρ أن يعلن النكاح في المسجد ؛ لأنَّ أكبر عدد من المسلمين يشهدون هذا العقد، وما يترتب على ذلك من تعارف وترابط بينهم، وقد

خصصت بجوار المسجد أماكن لاستقبال العزاء عما أصابهم من مصيبة، ويتم فيه تلاوة القرآن الكريم، وبعض الدروس والمواعظ الدينية.

ـ **التنشئة الاجتماعية :** هي العملية التي تستهدف تأهل الفرد للمشاركة في نشاط جماعة معينة عن طريق تعلم المعايير والأدوار التي تتوقعها الجماعة وتقرها، وهي عملية مستمرة نظراً؛ لأنَّ الأدوار الخاصة بوضع اجتماعي معين لا تكتسب عادةً دفعة واحدة بمجرد اكتساب الفرد لهذا الوضع، ولكنها تتعلم مرة ومرات على امتداد فترة شغل الإنسان لهذا الوضع[30].

وتعرف التنشئة الاجتماعية بأنها تلك العملية التي يتحول الفرد خلالها من طفل يعتمد على غيره متمركز حول ذاته، لا يهدف في حياته إلا في إشباع حاجته الفسيولوجية إلى فرد ناضج يدرك معنى المسؤولية، وكيف يتحملها ويعرف معنى الفردية والاستقلال ويستطيع أن ينشئ العلاقات الاجتماعية مع غيره ويستمتع ويتمتع بها الغير، وتُعدّ التنشئة الاجتماعية من أخطر العمليات شأناً في حياة الفرد لأنها تلعب دوراً أساسياً في تكوين الشخصية الاجتماعية للفرد والتي تمكنه من التكيف مع المجتمع[31].

وهي عملية مقصودة تستمد من الشريعة تهدف إلى تنشئة جوانب الشخصية الإنسانية جميعها لتحقق العبودية لله، ويقوم فيها أفراد ذو كفاية عالية بتوجيه تعلم أفراد آخرين مستخدمين محتوى تعليمياً محدداً وفق طرق ملائمة.

وعلى هذا فإن التنشئة الاجتماعية الإسلامية عملية تتعلق قبل كل شيء بتهيئة عقل الإنسان وفكره وتصوراته عن الكون والحياة وعن دوره وعلاقته بهذه الدنيا[32].

فهي تعني النشاط الفردي والاجتماعي الهادف لتنشئة الإنسان فكرياً وعقائدياً ووجدانياً واجتماعياً وجسدياً وجمالياً وخلقياً، وتزوده بالمعارف والاتجاهات والقيم والخبرات اللازمة لنموه نمواً سليماً طبقاً لأهداف الإسلام في ضوء الأسس النظرية والأهداف والمبادئ والمضامين والطرق وكل ما يتصل بتنشئة الأفراد في القرآن والسنة وما ينتج عنهما من فكر إسلامي يكون الإطار الفكري الذي يستند إليه في تنشئتهم تنشئة إسلامية صحيحة.

وباختصار التنشئة الاجتماعية الإسلامية لا تحصر نفسها في حدود ضيقة، ولا تسعى فقط لإعداد " المواطن الصالح " وإنما تسعى لإعداد " الإنسان الصالح " الإنسان بمعناه الشامل من حيث هو إنسان في كل الأرض لا من حيث هو مواطن في هذه البقعة أو في تلك، إنها التربية التي تجمع بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل، وتقوية الجسم[33].

ومن أهم أهداف التنشئة الاجتماعية الإسلامية ما يأتي:

1- تنشئة الأطفال والشباب على معرفة الدين وحسن الخلق وعدم الإهمال في إقامة الشعائر الدينية من صلاة وصيام وزكاة وحج، وإقامة الروابط الأخوية والعلاقات الطيبة بين الفرد وبقية الأفراد، واحترام الناس وأعمالهم.

2- تنمية القوى والاستعدادات الطبيعية في الطفل، فالإسلام دين الفطرة؛ لأن تعاليمه ليست غريبة عن الطبيعة الإنسانية، بل هي فطرة الله التي فطر الناس عليها ولا تعقيد فيها ولا خرافات كل شيء فيها منطقي موافق لحاجة البشر، محقق لمصالحهم.

3- الاهتمام بقوة النشء وحسن تربيته أيا كان جنسه ذكراً أو أنثى[34].

4- تطوير سلوك الفرد أو تغيير اتجاهاته اللفظية والعملية السلوكية بحيث وتتطابق مع السلوك والاتجاهات الإسلامية.

5- إعداد الفرد لمواجهة متطلبات حياته في هذه الدنيا ، وهذا هو ما يطلق عليه اليوم الإعداد المهني للحياة.

6- بناء المجتمع الإسلامي الصالح الذي تقوم نظمه على أساس شريعة الإسلام استناداً إلى الكتاب والسنة.

7- إعداد المسلمين لحمل الرسالة الإسلامية ونشرها في العالم كله حتى ينتشر الحق وتعلو كلمة الله في الأرض.

8- غرس القيم الإيمانية الإسلامية في نفوس النشء مثل وحدة الإنسانية والمساواة بين البشر، والأخلاق وإحضار النية، ومراقبة الله، والتقوى.

وخلاصة القول إن التنشئة الاجتماعية الإسلامية هدفها الإنسان بكيانه متكاملاً وبطاقاته وقدراته كلها، وهي بذلك تعني بالجانب العقلي والروحي والجسمي والخلقي والاجتماعي والجمالي، وهي عندما تتعهد هذه الجوانب بالتربية فأنها تستهدف في نفس الوقت تكاملها في حركة نموها، وتناسقها بحيث يصبح الإنسان الذي تعده مكتملاً في شخصية ذات نظرة شمولية في الحياة ، وما بعد الحياة[35].

وتنبثق أهمية المساجد في التنشئة الاجتماعية من كونها مصدراً خصباً للمعرفة ومركزاً دائماً للوعي الديني والرقي الأخلاقي. وتؤثر المساجد في قطاع عريض من الناس بما تقوم به من شرح وتوضيح لأمور الدين والعقيدة وتنمية للقيم الخلقية والاجتماعية وتعزيز للاتجاهات الإسلامية الخاصة بالتراحم والتعاطف والإحسان والتمسك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[36].

إن التنشئة الاجتماعية الإسلامية ذات علاقة عضوية وثيقة بالمسجد الذي يقدم خمس دروس للمصلي في اليوم والليلة تتجلى في الصلوات الخمس وما تغرسه في نفوس المسلمين من القيم والفضائل، حيث تصقل نفس المؤمن وترهف حسه، وترقق وجدانه، فهي بمثابة دروس أخلاقية عالية، وتوجيهات سامية تدفع الإنسان إلى الطريق الصحيح والسلوك الأفضل[37].

وتستخدم المساجد كثيراً من الوسائل في تحقيق التنشئة الإسلامية منها: الخطب الدينية والدروس والمواعظ التي تعقب الصلاة والمحاضرات التي تلقى في فترات دورية أو في المناسبات والأعياد الدينية[38].

لهذا فإن للمسجد دوراً مهماً في تكوين الشخصية الإسلامية من حيث التوجيه والإرشاد لأمور الدين والدنيا معاً في التشريع والعبادات والمعاملات، فيه تقوية للشعور الديني الذي يعد مفتاح الشخصية الخيرة، الذي يهيب بها مراقبة الله تعالى في العمل و الإنتاج والذي يعد من أهم عوامل التنمية البشرية في المجتمع الإسلامي[39].

وتتضح أهمية المسجد في التنشئة الاجتماعية من خلال الاعتبارات الآتية:

1- إن الفرد غالباً ما يرتاد دور العبادة بدافع من نفسه وهو بذلك يكون قد أعد نفسه لتقبل ما يُلقى إليه من تعاليم وهو أمر لا يتوافر دائماً في المنزل أو المدرسة.

2- إن دور العبادة تتعامل مع الأفراد في فئاتهم العمرية المختلفة، ودون تقيد بعمر معين أو بفترة زمنية معينة.

3- إن دور العبادة تقدم خدمات للأفراد من المستويات الاجتماعية والاقتصادية والوظيفية كافة وتسوي بين الجميع في المعاملة.

4- إن التربية الروحية والخلقية التي تقدمها دور العبادة تكوّن جانباً مهماً من جوانب شخصية الفرد، وتلعب دوراً مهماً في تكاملها واتزانها[40].

يلعب المسجد دوراً تربوياً مهماً في حياه الأطفال بتأكيده للقيم الخلقية والروحية، فاصطحاب الأطفال إلى المسجد يعني تعويدهم على ارتياده وتدريبهم على ممارسة العبادات كالصلاة، وقراءة القرآن الكريم والذكر والدعاء، وسماعهم للخطب والمواعظ وغيرها. تلك العبادات التي تغمر قلوبهم وتزودهم بقوة إيمانية جديدة، تسمو بها روحياً، وتعلمهم الكثير من الفضائل مثل الصدق والأمانة واحترام الكبير، والعطف على الصغير، وطاعة الوالدين، والنظام والمساواة وغير ذلك، مما ينعكس على جميع تصرفاتهم وأعمالهم مع أنفسهم ومع الآخرين.

ويستهدف العلم في الإسلام جمع الأمة الواحدة ، وتماسكها ووحدتها في سبيل إحقاق الحق، ومحاربة الباطل، ونصرة الضعيف، ومساندة المظلوم لرد الظلم عنه، وبهذا يزيد من تماسك الأمة وتعاونها، ويقضي على جميع أنواع التفرقة والانحلال والتخاذل[41].

إن الإسلام قبل أن يشرع العبادة من صلاة أو صيام وزكاة، أو غيرها من عبادات أو معاملات، سبق كل ذلك بتشريع للعلم، حيث جعل أول آية نزلت من الوحي، وأول بلاغ في الإيذان بالنبوة هي " أقرأ ".

فالإسلام يبني حركة الإنسان في الحياة في كل أبعادها العبادية والمعاملاتية الخاصة والعامة، الفردية والاجتماعية، على قاعدة العلم، ويأمر الإنسان أن يبدأ أولاً بالعلم، لأنه بالعلم يستفيد الإنسان من عقله وهو أعظم طاقة خلاقة ومبدعة، وبالعلم يكتشف هذا الإنسان ما في داخله من طاقات وقدرات وكنوز ، وهذا الذي يؤهله لتسخير الطبيعة وعمارة الكون وبناء الحضارة، والتغلب على مصاعب الحياة وكوارثها الطبيعية وما فيها من تحديات و معضلات[42].

فالعلم النافع يبقي للعالم كرامته، ويدفع عنه السؤال، ويرفعه في عيون قومه وأمته، ويذكره التاريخ بالخير والإجلال، وينفع من علمه الأجيال. فالعلم تجارة لن تبور بإذن الله، خاصة إذا كان لوجه الله ، لا مجال للمباهاة والمفاخرة فيه[43].

ولقد مجد القرآن الكريم العلم ونوه برفعة شأنه فوردت مادة العلم واشتقاقاتها فيه بشكل يستدعي الانتباه الانتباه ويستوقف الفكر، مما يعلي من قدره ويزيد من شرفه، ولو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه محمد ρ أن يسأله المزيد منه كما أمره أن يستزيد من العلم قال تعالى: (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)[44].

وبهذا الاهتمام العظيم ندرك أهمية العلم في نظر الإسلام واعتباره له حقاً أصيلاً وواجباً مؤكداً لكل أفراد البشرية على السواء[45].

لقد حث الإسلام على العلم، وقرنه بالإيمان، وبين لنا الله سبحانه وتعالى منزلة العلم والعلماء عنده، وخاصة العلماء الذين يستعملون علمهم في التفقه في خلقه تعالى، وفي التقرب منه، بحيث يكون علمهم عاملاً هاماً في تثبيت عقيدتهم، وتقوية إيمانهم، وفي إسعاد الأمة الإسلامية قاطبة[46]، قال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَات والله بمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[47].

ولقد بين لنا القرآن الكريم ما للعلم من فضل، وخاصة إذا كان خالصاً لوجه الله، ولم يقصد به كسب المال، أو لفت النظر للمباهاة والتعظيم، أو لاستعماله فيما لا يرضى

الله ورسوله ، ولذا كان فضل العلم عظيماً عند الله، وحثنا على طلبه والاستزادة منه، وبين لنا شروط طلبه، وحدود فضله ونعمته قال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[48].

ولأن طلب العلم فريضة، فهو إذن عبادة. ذلك أن حقائق العلم هي آيات الله، والتأمل في آيات الله عبادة، والانتفاع بها في عمارة الأرض هي وظيفة الإنسان والغاية من خلقه. فالذين يتدبرون آيات الله هم الذين يرون بديع صنعته ودقة نظامه، وهؤلاء الذين يعلمون ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق، وهؤلاء هم أكثر خشية الله[49]، قال تَعَالَى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[50].

ومع تميز هذا العصر بطلب العلم، فإن التوقعات تدل على أن هذا الطلب سيزداد ويكثر ويكبر في المستقبل؛ لأنه هو الحل لكثير من المشكلات التي يواجهها العالم اليوم مثل نقص الغذاء، وتناقص الموارد الطبيعية وخاصة الطاقة اللازمة لتسيير المصانع والآلات والأدوات المختلفة والضرورية لعيش الإنسان ورفاهيته في هذه الأيام، ومن هنا رصدت الميزانيات الضخمة له ، ووضعت السياسات والتخطيط له[51].

فطلب العلم، إذن هو صفة من صفات المؤمن الذي يؤمن بالدين الإسلامي، والاهتمام ببناء الشخصية الإسلامية بناءاً علمياً، والذي هو من أسمى أهداف التربية الإسلامية العلمية، التي تتطلب استعمال العقل، والتفكير، والتبصر، حتى تتمكن بإذن الله من استيعاب العلوم الدينية والعلوم الدنيوية، لتجمع بينهما فيما ينفع الناس، ويتمشى مع أوامره سبحانه وتعالى، وتجنب نواهيه[52].

وكانت هذه المساجد ومازالت تلعب دوراً بارزاً في نشر العلم حتى يومنا هذا، وتعدّ من أقدم وأعرق الجامعات في العالم والتي أخذت عنها الجامعات الحديثة في أوروبا وأمريكا الكثير من نظمها وأساليبها[53].

وتعد المكتبات الموجودة في المساجد من المراكز التي أسهمت بدور كبير في نشر العلم بين الأفراد، حيث تضم العديد من الكتب، وفي مختلف المجالات.

لقد كان المسجد ولا يزال دار عبادة ومدرسة تعليم فتحت أبوابها للعلوم، وجامعة شعبية يدخلها كل أفراد المجتمع للتعلم بلا تقيد بسن معينة، أو الحصول على شهادة مسبقة، أو رسوم اشتراك، كذلك لا تفرق بين ذكر أو أنثى ؛ بل للجميع الحق في التعلم وطلب العلم.

وإذا كان المسجد أفضل مكان للصلاة والذكر والاعتكاف، فهو أيضا أفضل مكان لدراسة وحفظ وتفسير وتجويد القرآن الكريم، حيث أسهم المسجد في حفظ هذا

الكتاب كما انزل، ولقد شهدت مسيرة التعليم القرآني في المجتمعات الإسلامية تطوراً ملحوظاً برز في صورة زيادة أعداد المدارس القرآنية الملحقة بالمساجد وبزيادة أعداد طلبة حفظ وتعلم كتاب الله و حفظ و تدبر آياته، وغرس قيم السلوك الحميد والمعاملة الحسنة المستمدة من نهج القرآن الكريم.

تعد الثورة العلمية التي نبعت من المساجد في عصر النبي ρ، وعصر أصحابه والتابعين، وعصر النهضة الإسلامية لأكبر شاهد ودليل صادق على دور المساجد والنهضة العلمية التي دفعت ركب الإنسانية إلى التقدم والحضارة والازدهار(54).

وأمام هذا الدور الكبير الذي تقوم به المساجد، فقد خصها الناس بوافر العطاء، وعظيم السخاء ضماناً لاستمرارية هذه الوظيفة، فبواسطتها انتشر العلم في شتى البقاع، وانتشرت العلوم يوم أن كانت مقصداً للدارسين وحصن الفقهاء والمتعلمين، وبها استطاع الطالب الفقير أن يواصل دراسته ويشق طريقه في مراتب العلم المتقدمة.

وهكذا استمرت المساجد تؤدي رسالتها التي أنشئت من أجلها، وهي ظاهرة بارزة في المجتمع العربي المسلم، فلا تكاد تجد قرية أو حياً في المدينة بدون مسجد، فكان المسجد ملتقى العباد ومجمع الأعيان، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة(55).

ويسهم المسجد بنصيب كبير في نشر العلم والثقافة منذ العصر النبوي وحتى اليوم، فهو يعد أهم دار علم في تاريخ التربية والتعليم الإسلامي، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه تعاليم دينهم وأمور دنياهم في مسجده بالمدينة المنورة، ثم انتشرت المساجد في كل البلدان الإسلامية واتخذت مؤسسات للتربية والتعليم(56).

ومن مميزات التعليم في المساجد المساواة بين الطلاب وتكافؤ الفرص التعليمية، وحرية الطالب في اختيار مواد الدراسة واختيار الأساتذة، وفي تحديد مدة بقائه للدراسة، إضافة إلى أنه كان يقدم للطلاب بالمساجد الطعام والكساء والعلاج والسكن وكل ذلك وغيره بالمجان، وعلى الرغم من مرور الأزمان وتغير ظروف وأحوال العالم الإسلامي ما زالت المساجد في أنحاء العالم الإسلامي من المؤسسات التعليمية المهمة(57).

ومن المسجد ظهرت الكثير من الفرق الإسلامية مثل المعتزلة، التي أنشأها واصل بن عطاء(*) حيث كان تلميذاً للحسن البصري(**)، وكان حاضراً حلقته الدراسية في مسجد البصرة، حيث تقدم رجل يسأل الحسن عن رأي الدين في مرتكب الكبيرة، فأجابه بأنه منافق، ولكن واصل بن عطاء اعترض على هذا الرأي، وقال إن مرتكب

الكبيرة ليس مؤمنا مطلقاً ولا كافراً مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين ثمَّ انسلخ عن حلقة الدرس.

الخاتمـــــة

لا تعنى مواجهة العولمة الانطواء على الذات، أو الانعزال عن مجرى الأحداث والمتغيرات التي تجرى في العالم اليوم، فالأمر كما يتضح لا يتعلق بالرفض أو القبول لكل ما تأتي به العولمة وإنما يتعلق بكيفية تعاملنّا معها بالصورة الصحيحة، حيث يتوجب علينا كمسلمين ألا نرفضها، وفي الوقت نفسه ألا نستسلم لها ونأخذ بها كما هي جاهزة بصورتها الغربية، دون إحداث تحولات فكرية واقتصادية وسياسية وثقافية فهيا، حتى لا نشعر العقلية الإسلامية بالاتكالية والعجز عن الاستمرار لمواكبة متطلبات العصر، وهذا يتطلب منَّا فهم كل ما تصدره لنّا العولمة فهماً دقيقاً ومحاولة الاستفادة منه بقدر الإمكان حتى يتسنى لنا إمكانية التعامل معها كواقع معاش، الأمر الذي يجعل من ثقافتنا المستقبلية تنزع نحو الموضوعية والوضوح والدقة من حيث أنها مرت بمرحلة سابقة من الغربلة الفكرية لكل ما هو دخيل عليها.

ومن هنّا يتضح أن العولمة ليست معتقداً فكرياً، ولا مذهباً سياسياً، ولا أيديولوجية معينة، وإنما هي مرحلة تاريخية كبرى لها أساليب متعددة الوجوه، كل يوم تكشف لنا عن وجه جديد على أنها شكل جديد من أشكال الاستعمار القديم، إلا أنه نظام عالمي له أدواته ووسائله الجديدة، تهدف الدول الكبرى من خلاله إلى الهيمنة والسيطرة باعتبار أنه واسع في متغيراته على امتداد القرن الحالي، حيث أن وجود الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية، والانترنت لها دور كبير في غزو عقول الشباب وزعزعة الدين والثقافة والسيطرة باسم التقدم التكنولوجي.

من أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

1- أن الشباب في حاجة إلى عقد ندوات وبرامج علمية وخطط استراتيجية تأخذ بأيديهم من أجل مستقبل مبني على العلم والمعرفة.
2- يجب تربية شبابنا وإعدادهم الإعداد العلمي الجيد لتحمل مسؤوليات المستقبل، ليس مجرد تلقين وإنما تدريباً علمياً وممارسة على أرض الواقع، حتى نستطيع الرفع من أمتنا الإسلامية اقتصاديا وسياسياً واجتماعياً، وثقافياً، ودينياً.
3- التركيز على حاجة الشباب في التعرف على حقيقة الإسلام وثقافته الواضحة دون افتراء ولإنفاق بالوسائل والطرق الإعلامية التثقيفية العصرية التي تساعد على ذلك.
4- ضرورة المحافظة على الموروث الثقافي دون الانسلاخ وراء التجديد بكل جوانبه.

5- لابد من التركيز على التوجيه الديني عبر وسائل الإعلام المتنوعة، وفي المساجد وفي الأماكن الأخرى باعتباره الغذاء الروحي الذي لا يفتر أمام متطلبات الحياة وتياراتها الفكرية، ولكن هذا يحتاج إلى الانسان القادر على التوجيه المستوعب لحقائق الحياة.
6- ضرورة نشر العلم وتدعيم المؤسسات التعليمية بكل الوسائل المؤدية إلى إيجاد جيل مؤهل علمياً وعقلياً لبناء مجتمع والنهوض به وفقاً للأسس والمتطلبات العلمية.
7- زيادة الوعي الاجتماعي بين الأسر حول الآثار السلبية لبعض البرامج الموجهة من القنوات الفضائية والاهتمام بقضاء وقت فراغ الأبناء بما يعود عليهم بالفائدة والنفع ومتابعتهم فيما يشاهدونه من برامج.
8- التوعية والتثقيف باستخدام الإنترنت الأمن بإقامة محاضرات توعوية لأمن المعلومات والانترنت توضح مخاطر الانترنت على الشباب في المؤسسات التعليمية فتنشئهم تنشئة سليمة مبنيّة على العقيدة الإسلامية.
9- غرس القيم، والمبادئ الروحية بين الشباب لتكون عناصر فعّالة لنفسها، ومجتمعها، وتشجيعهم على إستخدام الأساليب العلمية التي تتطلب التأمل، والتفكير، والإبتكار، والإبداع والتجديد.
10- رعاية الشباب رعاية شمولية بتوفير المناخ النفسي والاجتماعي، الذي يمنح لهم فرصة النمو السوي بدنياً، وعقلياً، واجتماعياً، عقلاً وفكراً، وخلق قويم.
11- العمل على تحسين مستوى الحياة للشباب داخل المجتمع، وترسيخ المبادئ والأسس السليمة التي تسهم في تعاون الجميع لتحقيق أهداف العولمة الثقافية السليمة.
12- ضرورة التسلح بالعلم والإيمان القوى لمواكبة تطورات العصر، من أجل تحصين شبابنا ضد التيارات الوافدة وخلق جيل يحتذى به في كل مناحي الحياة.
13- يجب أن نصل إلى أعلى قمة في العلم حتى نستطيع مواجهة التحديات الخطيرة التي تحذق بأمتنا الإسلامية وتستهدف كيانها ووحدتها.
14- العولمة مليئة بالفرص الإيجابية، مثلما هي مليئة بالتهديدات والمخاطر، فهي تتيح فرصة الحصول على المعلومات والأفكار المهمة، وإمكانية الوصول إلى المعرفة الشاملة عن طريق البيانات والاحصاءات والأبحاث العلمية فكل هذا يسهم في إثراء الجانب العلمي والمعرفي في الثقافة الإسلامية.

الهوامـــــــــــش :

(1) صلاح سالم زرنوقة، العولمة والوطن العربي، القاهرة، جامعة القاهرة، 2002م، ص22.
(2) خليل نوري مسـير العاني، الهوية الإسـلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسـات الإسـلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسـات الإسـلامية، ط1، 2009م، العراق – بغداد، ص106-107.
(3) مايك فيدرسـتون، ثقافة العولمة (القومية والعولمة والحداثة) ترجمة عبدالوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة والنشر، (د.ط)، (د.ت)، ص20.
(4) مايك فيدرسـتون، ثقافة العولمة (القومية والعولمة والحداثة)، ترجمة عبدالوهاب علوب، مصـدر سـبق ذكره، ص21.
(5) المصدر نفسه، ص5.
(6) مصطفي النشار، ضد العولمة، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1999م، ص57.
(7) جلال أمين، العولمة والتنمية العربية من حملة نابليون إلى جولة لاوروغواي، بيروت: مركز دراسـات الوحدة العربية، 1999م، ص108.
(8) محسن أحمد الخضـيري، العولمة، مقدمة في فكر واقتصـاد إدارة عصـر اللادولة مجموعة النيل العربية للنشر، القاهرة، ط الأولى، 2000م، ص15.
(9) محمد بن سعد التميمي، العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م، ص3.
(10) مصـطفي حلمي، الفكر الإسـلامي في مواجهة الغزو الثقافي في العصـر الحديث، دار الدعوة للنشـر، الاسكندرية، ط الأولى، 1998م، ص46.
(11) محسن أحمد الخضيري، العولمة، مقدمة في فكر واقتصاد إدارة عصر اللادولة، مرجع سابق، ص26.
(12) المرجع نفسه، ص28.
(13) السيد يس، الزمن العربي والمستقبل العالمي، دار المستقبل العربي للنشر، القاهرة، ط الأولى، 1998م، ص56.
(14) محمود السيد، الهيمنة المعلوماتية والإعلامية وآثارها، دراسات استراتيجية، السنة الثانية، العدد الثالث، 2001م، ص110.
(15) عبدالعال أحمد عبدالعال، التكافل الاجتماعي في الإسـلام، القاهرة: الشـركة العربية للنشـر والتوزيع، 1997م، ص13.
(16) أحمد رمضـان الحارس أصـول" الأمن الاجتماعي في القرآن والسنة ، مجلة الجامعة الأسمرية الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية، زليتن، ع10 ، 2008م، ص 93.
(17) المرجع نفسه ، ص23.
(18) عبدالرشـيد عبدالحافظ، الآثار السـلبية للعولمة على الوطن العربي وسـبل مواجهتها، مكتبة مدبولي ، القاهرة، 2005م، ص143.
(19) أخرجه أبي عيسى محمد الترمذي ، سنن الترمذي ، ج4، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 1994م، ص295.
(20) عبدالعال أحمد عبدالعال، التكافل الاجتماعي في الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص77.
(21) سورة الحجرات: الآية 13.
(22) رشـاد حسـن خليل، نظرية المسـاواة في الشـريعة الإسـلامية، ط1، ج1، القاهرة: دار الفاروق للنشـر والتوزيع، 2007م ، ص ص 31-32.
(23) محمد الغزالي، خلق المسـلم ط 16 ، القاهرة نهضـة مصـر للطباعة والنشـر والتوزيع، 2008م، ص 155.
(24) تركي صقر ، الإعلام العربي وتحديات العولمة، وزارة الثقافة، دمشق ، 1998م ، ص78.
(25) مصطفى النشار ، ضد العولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص113.

(26) عقيل حسين عقيل، سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي"، مالطا منشورات الجا، 1997م ، ص 173.
(27) عبد الحكيم محمد بيومي الرائد في خطب الجمعة والعيدين، ط2، القاهرة الدار المصرية اللبنانية 2003م، ص 15.
(28) سورة الأنبياء: الآية 91.
(29) زكريا بشير إمام أصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم ، ط 1 ، عمان: دار مجدلاوي ، 2000م، ص202.
(30) محمد الجوهري المدخل إلى علم الاجتماع، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ب.ت، ص 66.
(31) محمد محمد نعيمة ، التنشئة الاجتماعية وسمات الشخصية ، ط 1 ، عمان: دار الثقافة العلمية ، 2002م ، ص ص 20-21.
(32) أحمد صبحي العيادي، المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، ط2، الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي 2007م، ص 419.
(33) زكريا بشير إمام، أصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص419.
(34) سعدون محمود الساموك، وهدى علي الشمري، أساسيات التربية الإسلامية، ط1، عمان: دار الوراق للنشر والتوزيع 2005م، ص ص 5148.
(35) عبد الفتاح تركي موسى، التنشئة الاجتماعية "منظور إسلامي" ، الإسكندرية: المكتب العلمي للنشر والتوزيع، 1998م، ص ص119-121.
(36) معن خليل عمر، التنشئة الاجتماعية ، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004م، ص207.
(37) محمد الجوهري، المدخل إلى علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص157.
(38) عبدالفتاح تركي موسى، التنشئة الاجتماعية (منظور إسلامي)، مرجع سبق ذكره، ص207.
(39) المرجع نفسه ، ص233.
(40) عبدالله بشير فضل وآخرون، مدخل إلى التربية، ط1، طرابلس: مؤسسة فينوس العالمية للنشر والتوزيع 1999م، ص 228 .
(41) مقداد يالجن، ويوسف القاضي، علم النفس التربوي في الإسلام، ط2، الرياض دار عالم الكتب 1997م، ص 281.
(42) زكريا بشير إمام، أصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص26، 27.
(43) مقداد يالجن، ويوسف القاضي، مرجع سبق ذكره، ص288.
(44) سورة طه : الآية 114.
(45) زكريا بشير إمام، أصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص404.
(46) مقداد يالجن، ويوسف القاضي، مرجع سبق ذكره، ص 279.
(47) سورة المجادلة : الآية 11.
(48) سورة الزمر : الآية 9.
(49) علي أحمد مدكور ، منهج التربية الإسلامية "أصوله" وتطبيقاته"، ط2، الكويت مكتبة الفلاح، 2002م ص 187.
(50) سورة فاطر : الآية 28.
(51) مقداد يالجن، ويوسف القاضي، مرجع سبق ذكره، ص283.
(52) المرجع نفسه، ص287.
(53) فيصل الراوي رفاعي، وآخرون، تطور الفكر التربوي الإسلامي، ط1، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، 2000م، ص185.
(54) المرجع نفسه ، ص77-82.
(55) مقداد يالجن، ويوسف القاضي، مرجع سبق ذكره، ص285.
(56) المرجع نفسه ، ص182.
(57) علي أحمد مذكور ، منهج التربية الإسلامية (أصوله وتطبيقاته) ، مرجع سبق ذكره ، ص183، 184.

(*) **واصل بن عطاء**، متكلم ومفكر إسلامي (700 - 748 م)،(80 هـــ-131هـــ) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المخزومي، الملقب بالغزّال الألثغ، كان تلميذاً لمحمد بن الحنفية ولزم حلقة الحسن البصري، أسس فرقة المعتزلة عندما حصل الخلاف بينه وبين الحسن في حكم مرتكب الكبيرة، فاعتزل حلقة الحسن، فقال الحسن «اعتزلنا واصل» فتسمت فرقته بالمعتزلة وهي فرقة كلامية اشتهرت بالجدال والمناظرة وانضم إليه عمرو بن عبيد. كانت زوجته هي أخت عمرو بن عبيد. توفي في عام 131 هـ الموافق لـ 748 م في المدينة المنورة. كان واصل بن عطاء على ما وهبه الله من فطانة وفصاحة وحسن تصرف في القول كان صاحب عاهة في نطق حرف الراء. الموسوعة الحرة ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki .

(**) الحسن بن يسار البصري (21 - 110 هـــ) إمام وقاضي ومحدّث من علماء التابعين ومن أكثر الشخصيات البارزة في عصر صدر الإسلام. سكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، ولا يخاف في الحق لومة لائم، تنقل الحسن البصري بين أكثر من مدينة حيث كان مسقط رأسه في المدينة المنورة ونشأته إلى أن سافر إلى كابل عندما اتجهوا إلى فتحها، كما عمل كاتبًا للربيع في خراسان وكان ذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان، بعدها استقر في البصرة حتى حصل علي لقبه البصري وأصبح يعرف باسم «الحسن البصري». الموسوعة الحرة ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki .